ان ربع السلام في الفيتنام الذي تلقى عليه نصف جائزة نوبل هو مسالة اخرى . ولكن بالنسبة الى الشرق الاوسط يصعب انكار وصف غولدا مئير لهنري كيسنجر بانه « صانع معجزات » . وقد يستخدم المرء عبارة اقل الهية ، لكن مما لا ريب فيه ان المنجزات تثبت الدكتور كيسنجر بوصفه محتال الدبلوماسية الحديثة الذي يسلب الناس اموالهم بعد ان يكسب ثقتهم .

يصعب تصور وسيط ابعد احتمالا بين اسرائيل والعرب . فبوصفه مساعدا خاصا في البيت الابيض ، وفيما بعد وزيرا للخارجية ، كان غريبا في النزاع ، الى جانب اسرائيل . ولا نعني بهذا اتهام كيسنجر باختراع الامبريالية الاميركية او دعمها لاسرائيل . فقد كان الاثنان مرتبطين منذ ما قبل ولادة الدولة الصهيونية . ومع هذا اسهم كيسنجر اسهامات فريدة في تلك العلاقة . فترقية اسرائيل من وكيل ثانوي لتصير الدولة الرئيسية الافضل تسلحا للسلام الاميركي في شرق البحر الابيض المتوسط تعود كليا الى استراتيجية كيسنجر . وعلى نحو مفهوم ساعد في تخريب خطة روجرز بعدما حققت ، عن طريق نشر وقف النار ، الهدفين التكتيكيين لايجاد مازق على طول قناة السويس وعزل الفلسطينيين عن دعم مصر لهم في المعركة مع الملك حسين . وخلال حرب تشرين (اكتوبر) ، لعب الدور الحاسم في العملية الكبرى لاعادة امداد اسرائيل (وهي حتى اليوم اكبر عملية من نوعها في التاريخ وانطوت على ما يقدر بـ ٢٫٥ بليون دولار من الامدادات العسكرية في أقل من اسبوعين) وبدونها ما كانت اسرائيل لتستطيع شن الهجوم عبر قناة السويس وتعيد احتلال هضبة الجولان . وبفضل مناورات كيسنجر لم يتحقق وقف النار الا بعدما عبر الاسرائيليون القناة ، وأمنوا رأس جسر ، وخلقوا جيبا على الجانب الغربي . ثم خرق وقف النار الى ان عزلت اسرائيل الجيش الثالث المصري . وقد غطى أعمال الخرق هذه انذار نووي عالمي استهله الدكتور كيسنجر — الاول منذ ازمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ .

لم يكن من شأن السجل العام للدكتور كيسنجر (او الرئيس نيكسون) في ادارة الدبلوماسية ان يوحي بالثقة . ان قدرا من المناورة والنفاق هو جزء من التقليد الدبلوماسي . فجميع الحكومات احيانا تتلاعب بالحلفاء ، وتضلل الاعداء ، وتقدم معلومات خاطئة للجمهور . الا انها لم تكن الا في ما ندر تعتبر الخداع النظامي ، والتلاعب المناور الساخر ، والخيانة المقصودة ادوات رئيسية — للسياسة . وكانت حكومة نيكسون — كيسنجر تنتمي الى تلك الفئة . والامثلة هنا أكثر من ان تحصى . وفي الشؤون الخارجية أشهر اعمال الخداع هي تلك المتعلقة بقصف كامبوديا وغزوها . وانه امر يصعب تصديقه انه كان بالامكان تنفيذ تلك الغارات الثلاثة الاف والثلاثماية والستين بواسطة طائرات ب — ٥٢ سرا ضد كامبوديا الحيادية (بين اذار — مارس ١٩٦٩ وايار — مايو ١٩٧٠)، تحت اشراف كيسنجر ، ودون ان يعرف حتى وزير سلاح الطيران . ومع هذا لم تكن حادثة شاذة . ففي مقالة مرتكزة على ابحاث مستفيضة اظهر تاد زولك ، المراسل الدبلوماسي السابق لصحيفة نيويورك تايمز ، ان الاجزاء الجوهرية لاستراتيجية المفاوضات التي اعتمدها كيسنجر في الفيتنام كانت العنف والمناورة المشتملة على الاخفاءات والخداع ، والوعود الكاذبة التي قطعها للفيتناميين . (تاد زولك ، « وراء اتفاق وقف النار الفيتنامي » ، **السياسة الخارجية** ، العدد ١٥ ، صيف ١٩٧٤) .

يعتبر الدكتور كيسنجر المناورة سلاحا رئيسيا للدبلوماسية الفعالة . فهو يقول ان مترنيخ « تفوق في المناورة لا في البناء » . ولهذا الامر فائدته . إذ « عندما تحققت وحدة اوروبا ، لم يتم ذلك عن طريق حسن نية كاسلريه بل عن طريق مناورات مترنيخ » . (هـ. كيسنجر ، **عالم مرمم** ، ص ٣١٨) . ورجل الدولة الاخر الوحيد الذي اثار اهتمام هنري كيسنجر واعجابه هو اوتو فون بسمارك ، الذي كان هو ايضا يميل الى سياسة الخداع . ويصفه الدكتور كيسنجر بقوله ان « الشكوك الاخلاقية لم تكن تعوقه » ، فهو « رجل دولة » يضع « مبدأ النفع فوق مبدأ الشرعية » . (هـ. كيسنجر ، « الثوري الابيض : تأملات حول بسمارك » . ديد الوس ، ص ٩١٤ ، ٨٨٨) .

لا نقول ان كيسنجر يعتبر مترنيخ او بسمارك بطلين وتدفعه الحاجة الى تقليدهما . فهو موظف